

# الموسيقى شكل من أشكال السياسة وليست فنا فقط

## المصري نادر عباسي: على الموسيقيين العرب أن يفتفوا خطى الكوريين والصينيين



موكب المومياوات أعاد الاعتبار إلى الموسيقى السيمفونية

ويرى نقاد أن الموسيقى الكلاسيكية والفنون الرفيعة لا تتراجع في مصر والعالم العربي فحسب، بل التراجع حالة تسود العالم. وعزف عباسي الموسيقي وقاد الأوركسترا في أكبر مسارح العالم، ومن ثم فهو على دراية بأوضاع هذه الفنون والاختلاف في استقبال الجمهور الغربي للموسيقى عن نظيره العربي. ويؤكد "أن الاهتمام العالمي في الغرب امتد منذ مئات من السنين ومستمر وله جمهوره ومهتمون به ويتم تدريسه في المدارس تحت اسم "التذوق الفني"، وقد بلغوا مرحلة التعود، ويتقبلون الموسيقى والثقافات المختلفة، وهذا هو نسق البلاد المتحضرة التي تمكنت من النهوض بمواطنيها، حيث يسود التحضر وقبول الآخر، من ثم فهناك إقبال شديد على الحفلات، ولديهم دائما ترقب وانتظار لكل ما هو جديد في هذه الفنون، فهم ليسوا كسالي، وربما يتولد هذا الكسل عندنا بفعل الزحام وضغوط الحياة، فهم عالم أول حياتهم أكثر استقرارا وراحة عن أوضاعنا".

ودرس عباسي في معهد الكونسرفتوار، وكان متفوقا وتم تعيينه معيدا في أكاديمية الفنون بالقاهرة، وحصل على منحة للدراسة في النمسا، لكنه قرر الذهاب إلى سويسرا على نفقته الخاصة، لأنه وجد الدراسة هناك هي الأفضل، واتجه للعمل في أوركسترا عالي الجانب دراسته، ماثرا، ومجتهدا ليتمكن من التكفل بنفقاته التعليمية، ونال درجة الماجستير والدكتوراه في العزف والغناء الأوبرالي.

ويستنكر عباسي عدم وجود تقدير مادي ومعنوي لهذه الفنون والقائمين عليها في مصر، "إن يحصلون بعد التخرج على مبالغ زهيدة، ويعانون إحباطا كبيرا، ويتولد عندهم شعور بعدم التقدير وأن الدولة لا تنصفهم، ونحن كعازفين وفنانين يتراوح عددا بين 200 و300 شخص من أكثر من مئة مليون نسمة عدد سكان مصر".

وهؤلاء مثل الجواهر والعملة النادرة، لا بد من إبداء التقدير لهم كي يستمروا، فالبعض يلجأ للسفر إلى الخارج كي يشعر بقيمته، والبعض قد يتجه لمجالات أخرى تجلب له الأموال، مثل صناعة موسيقى الأفلام أو العزف خلف المطربين. ويرى أن المستثمرين منهم في هذا العمل عابرة، حيث يسبحون ضد التيار تماما ولديهم تصميم وإصرار وسط أجواء عصبية.

ويعد المايسترو نادر عباسي من أهم قادة الأوركسترا في مصر وسويسرا في مجال التأليف والقيادة، إلى جانب كونه عازفا لآلة الفاجوت، ومعنى أوبرا سابق، وعمل في عدد من الأوركسترات العالمية كعازف ثم تحول إلى القيادة والتأليف، وقد الأوركسترا في عدد من الدول الأوروبية.

وشدد على الاهتمام بنشر الثقافة الموسيقية بين الشباب، مضيفا "لا يمكنني الذهاب إلى الجامعات لإقامة حفلة بل ينبغي أن تأتي بطب من رؤسائها وإبداء الرغبة في إقامتها، لأنها تتطلب ميزانية وترتيبات خاصة للأوركسترا، وتعد فرصة كي يتعرف الشباب والفنانيات على نوعية الآلات ويتبادلون الحديث مع الموسيقيين، ويمكن أن يكون من بين هؤلاء شغوفون ورابعون في دراسة هذه الفنون بجانب دراستهم".

ويتعبر ذلك هو بداية طريق التحضر والتقدم، وتقويم أفكار الشباب ليعتادوا العمل الجماعي، لأن أساس عمل الأوركسترا والكرال هو العمل الجماعي وليس الفردي.

### موسيقى المهرجانات

يُنظر إلى الموسيقى الكلاسيكية على أنها تهذب النفس وتسمو بالروح وتخلق بعيدا في عوالم سحرية، لذلك تسال "العرب" الموسيقار عن الأنماط الأخرى من الفنون الموسيقية والغنائية، الشعبية خصوصا، مع تصاعد ظاهرة مطربي وأغاني المهرجانات والراب، حيث طفت على الساحة الفنية المصرية، فيقول "أراها جيدة للغاية"، ويبدو أنه لم يستطع إخفاء علامات الدهشة المشوبة بالاستنكار، وأطلق ضحكة طويلة، كان إجابته جاءت لاختبار رد فعلي.

ويوضح "ما أقصده أن تلك الأنواع من الموسيقى موجودة على الساحة سواء المهرجانات أو الميتمال والروك والجاز، والموسيقى العربية الخفيفة، وقد نسمع ونستفيد منها ونرى عيوبها وهذا مقبول، ولا أتحدث عن أغاني المهرجانات التي تحتوي كلاما مبتذلا وفاسقا، ما قصده تلك التي قد تحتوي على رسائل إيجابية وتُظهر رأي الشعب في موضوعات معينة".

ويؤكد عباسي أن كل هذه الأنماط الموسيقية مهمة، لكن غير المستساغ هو المساحة الممنوحة لها في الإعلام دون غيرها، ومنحها أكبر من حجمها، بالموازاة مع تجاهل الموسيقى العالمية والفنون العربية الراقية وعدم إفساح المجال لتراثنا، مبديا استغرابه من شكوى الناس من موسيقى المهرجانات وغيرها.

وتسليط الضوء عليها فقد رفع نجاح موكب المومياوات سقف التوقعات والطموحات لدى الجمهور والفنانين والرغبة في عمل أشياء أكبر. ويسود الاعتقاد أن الحفلات الأوبرالية أو السيمفونية يرتادها المتخصصون فقط، ومن الصعب أن تصل للمتلقي العادي، وعن حل إشكالية الفن الراقي وتوصيلها للجمهور والمجتمع، يقول "ثمة حاجة لأن تفتح دار الأوبرا المصرية أبوابها للطلبة والأطفال لحضور الحفلات النهائية للأعمال وتبسيط الشرح هذه الفنون لهم، فاعتاد الأجيال الجديدة ارتياد المسارح وتقبل هذا النوع من الفنون تدريجيا، وسوف تظهر ثمار ذلك على المدى الطويل عبر إعداد جيل جديد يتعلم أن الموسيقى والمسرح لهما احترامهما وقديسيتهما، علاوة على تنظيم الحفلات الراقية في الجامعات، والمدن والقرى المصرية المختلفة، فحين نهبت ضمن حفلات في المكسيك، وجدت لديهم مسرحا كبيرا وحديثا في القرى الصغيرة يستهدف تعريف المواطنين بفنون العالم، وفوجئت أن الحفلات يرتادها قرويون ويندقونونها ويتفعلون معها".



نادر عباسي:

الفنانون الأوبراليون عابرة مهمشون حيث يسبحون ضد التيار تماما ولديهم تصميم وإصرار وسط أجواء عصبية



باحتراف وسليق احتراماً في الخارج وتقديراً في الداخل، لكن ما لم يكن في حسابتي هو تأثير الجمهور بالمغنية الأوبرالية والأغنية المصرية القديمة (أنشودة المهابة) بهذا الشكل". وقد فاق الاحتفاء توقعاته، ربما لأن الحفل جاء في إطار صحيح وحقيقي في التعبير وطرح الرسالة، ولم يكن مبتذلا أو مجرد شو إعلامي. وحول ردود الأفعال التي استقبلها بشأن الموكب، يقول "العرب" "جاءت على المستوى الموسيقي والإنساني، ألقت بانها الكبير على نفسي، فالأجانب الذين تابعوا الموكب أثار في أفئدتهم احترامنا لحضارتنا وأجداننا، وسير الموكب باحترام ومهابة، والتعامل معهم بشكل راق دون ابتذال أو بهرجة من الشعب والدولة".

ورغم مرور أسابيع على عرض المومياوات، مازال عباسي يحاول تفسير وتحليل الأسباب الحقيقية التي جعلت الموكب يستحوذ على كل هذا الإعجاب، معتزفا أنه عجز عن التوصل لتفسير محدد، وتسأل "ربما اللغة أو الموسيقى أو الدقة والرقى، وعدم ظهور أشخاص مشهورين بين المغنين، وربما تكون كل هذه الأسباب مجتمعة".

### نجومية الفن الراقي

بين عشية وضحاها استطاع عباسي أن يضيف تحولا كبيرا في مفهوم النجومية في مصر، والتي اعتدنا ارتباطها باسم مطرب أو ممثل شهير، لكنه صنع نجومية من نوع خاص، فقط تنتشر بعض الشعوب العربية أحيانا بسخرية للمايسترو بوصفه الشخص الذي يلوح بيديه فقط من دون أن تفهم لماذا.

يقول في حوار له مع "العرب" "انتابني شعور خاص، إذ أدرس وأعمل بجد وضمير منذ الصغر، وأحارب على جهات عدة، وقد أشعر أنه لا أحد يرى ماذا أصنع، وفجأة أحصد ثمار كل هذه السنوات من الكد والعمل، وأنا أؤمن أن لكل مجتهد نصيبا، واعتبرها درسا للعاملين في مجالنا الكلاسيكي، فمع العمل والمثابرة سيصل كل واحد يوما ما لما يريد".

ويتبنى عباسي بزوغ المزيد من النجوم في مجال الفنون الكلاسيكية

أثار موكب المومياوات المصري مفارقة هامة حيث فُتد مقولة مغلوطة انتشرت في العقود الأخيرة حول تدني الذوق الموسيقي الشعبي ورفضه للموسيقى الراقية مثل الموسيقى الأوركسترالية والكلاسيكية العالمية وغيرها. لكن الاهتمام الشعبي برز خلال الحفل الموسيقي الأوركسترالي الذي واكب انتقال المومياوات الملكية من المتحف المصري في ميدان التحرير إلى المتحف القومي للحضارة المصرية بالقسطاط جنوب العاصمة. "العرب" كان لها هذا الحوار مع قائد الأوركسترا التي قدمت الحفل الموسيقار المصري نادر عباسي للتعرف على الكثير من معالم المشهد الموسيقي.

ومن ثم يمكن اعتبارها موسيقانا أيضا.. ويوضح "يمكن مزج وتطعيم المقامات الشرقية مع الموسيقى الأكاديمية العالمية، وبهذا نضع موسيقانا في إطار عالمي، ونجعل فرق الأوركسترا العالمية تعزفها في المحافل الدولية، مثلما نقوم بعزف أعمالهم، إذ ينبغي استخدام نفس أدواتهم العالمية كي نصل بالموسيقى المصرية للعالمية".

وقام عباسي بتقديم وعزف الموسيقى الشرقية في دول مختلفة، ولديه الكثير من الأعمال كمؤلف موسيقي مثل "بين الغسق والصحار"، وهي عن قصة ربا وسكينة، و"عروس النيل" و"بنات بحري" التي أخذ منها "رقصة السلام". وحول استقبال الجمهور الغربي للموسيقى الشرقية ومدى رواجها، يقول "الجمهور الغربي متفتح للغاية، ويستقبل كل أنواع الموسيقى، سواء شرقية أو أفريقية وحتى الصينية والكورية، إضافة إلى الجاز والروك إذا وضعت له في إطار منضبط وقدمت له في شكل جيد وصحيح، وبالتالي يتحتم علينا الذهاب إليهم، إذا أردنا تحقيق نوع من التقدم والتواجد عالميا".

ويلفت إلى ضرورة إرسال الموسيقيين الأوكستريين العرب بعزفون الموسيقى العالمية إلى الخارج، فغزو من خلالهم العالم مثلما يفعل الكوريون والصينيون الذين ينتشرون بأعداد كبيرة في مجال الأوركسترا ومسابقات الغناء في دول أوروبية عديدة، بينما نحن العرب غير متواجدين على الإطلاق إلا بشكل قليل ونادر للغاية.

ويقول نقاد الموسيقى إن موكب المومياوات في مصر أعاد الاعتبار إلى الفنون الأوبرالية والموسيقى السيمفونية، ما يشي بمستقبل مختلف لهذه النوعية من الفنون، إذا جرت رعايتها بصورة جيدة.

وحول رؤيته لمستقبل هذه الفنون، يقول عباسي "المستقبل سوف يكون جيدا إذا أفلحنا في إعطاء الفرصة للمتخصصين، وتجنب الدفع بفاقدى المهوبة، ووضع المسؤولية على عاتق ذوي الكفاءة دون الاعتماد على الواسطة، والبحث عن الموهوبين والدارسين في الخارج المتواجدين في مصر ولهم تواصل مع جهات موسيقية عالمية، ويمتلكون القدرة على تقديم بلدهم بشكل جيد، وهؤلاء تتوافر لهم الخبرة، لكن ينقصهم توفير دعم الدولة، وينبغي إرسال الأوركسترا المصري للخارج، والتحدث بلغة المستهدفين".

ويتسأل الموسيقار عباسي على أن الموسيقى شكل من أشكال السياسة وليست فنا فقط، ضاربا المثل بعرض المومياوات، بقوله "رغم أن العرض موسيقي لكن فكرت فيه من ناحية سياسية، وكيف يمكن من خلاله طرح صورة مصر للعالم، خصوصا مع إدراك أن دولا كثيرا تنظر إلينا بطريقة سلبية باعتبار بلدنا العربية منبعا للإرهاب، لذلك أردت أن أطلق رسالة للخارج، وتصحيح المنظر الخاطئ تجاهنا، فالفن رسالة وانعكاس لحضارة الشعوب ورفي المجتمع".

ويؤكد أن الفن لا حدود له، قائلا "نحن كفنانين اتحاد بشري وإنساني ليست له حدود دينية أو عرقية، فالفن يجمعنا سويا، وخلال قيادتي لحفل في إحدى المرات في مقر اليونيسكو بباريس، وضم الأوركسترا عازفين وفنانين من كل الأديان، وحينها قال لي السفير المصري إن الرسالة التي قمت بتضمينها وتقديمها ضمن الحفل كانت نتيجتها سريعة ومبهرة، بينما قد يحتاج المساحة لسنوات للوصول إلى اتفاق، فقد استطاع عمل موسيقي واحد أن يجمع كل المختلفين ليعزفوا معا في تناغم واضح". وأثناء إعداده لحفل موكب المومياوات لم يتوقع المايسترو عباسي الاحتفاء الكبير في الأوساط الشعبية، يقول "بحكم خبرتي، كنت مدركا أن الحفل سيخرج

هبة ياسين  
كاتبة مصرية

يمثل المايسترو المصري نادر عباسي نموذجا لعازفي الموسيقى الحالمين بنشر الفنون الراقية، في زمن طغت فيه أغاني المهرجانات، وبات اسما أكثر لمعانا بعد حفل "موكب المومياوات" بالقاهرة الذي جرى تحت قيادته الفنية.

تبار "العرب" الفنان يسؤال: أين أنت، وأين الموسيقى الراقية التي توارت كثيرا؟ فبدأ قائلا "نحن متواجدين، لكن لا يتم تسليط الضوء على الفنون الجادة، وتقع المسؤولية على عاتق وسائل الإعلام، فتمتة حالة من الاستسهال وعدم الرغبة في البحث والتفتيش عن المتميزين، والافتقار بالكتابة عن المشاهير لتحقيق الرواج والانتشار والجري خلف الترتد لتحقيق نسبة مشاهدة مرتفعة دون النظر إلى القيمة".

ويضيف "الإعلام لا يبذل جهدا لتقديم المتميزين من العاملين في الفنون الراقية أو المتميزين لأكاديمية الفنون، سواء في مجال الرسم أو النحت والموسيقى وغيرها ويتعاس عن تسليط الضوء على إنجازاتهم، ويتمح مساحة واسعة لأنماط فنية لا تقدم تنقيفا للشعب، حتى ولو كان الغرض من تسليط الضوء عليها السخرية والاستهزاء، بينما يبخل في عرض الموسيقى الراقية وأنواعها والأعمال الأوركسترالية وتعريف الجمهور بها".

### نجاح موكب المومياوات في مصر رفع سقف التوقعات والطموحات لدى الجمهور والفنانين والرغبة في عمل أشياء أكبر

ويتسأل عباسي عن أسباب غياب البرامج الثقافية المهمة تلك الفنون، مثل برنامج "صوت الموسيقى" و"فن البالية" و"الموسيقى العربية"، وهي برامج كانت تعرض على التلفزيون المصري وتوقفت منذ سنوات، كما أن القنوات الخاصة التي تتمتع بنسبة مشاهدة مرتفعة لا تولي البرامج الثقافية اهتماما حقيقيا. ويؤكد أن الموسيقى الرفيعة موجودة وتقام لها حفلات عديدة، وهناك "الأوركسترا السيمفوني" وفرقة "البالية والأوبرا"، والحفلات الموسيقية والغنائية، وثمة أنماط متباينة من الفنون الراقية، لكنها تعاني من التجاهل، وما يتم التركيز عليه هو مهرجان الموسيقى العربية والذي ليس بحاجة لذلك، لأن الجمهور يهتم به ويرتاد حفلاته.

### هزة موسيقية للمجتمع

أثبت الاحتفاء الجماهيري بموكب المومياوات أن المزاج المصري والعربي غير متوقع، وأن الفنون الكلاسيكية الجادة قد تجذبه إذا قدمت بطريقة احترافية بعدما ساد الاعتقاد أنها نخوية، وقد فاجأ الشعب بحسه المرفه المسؤولين، فاستقبله الحفل بحفاوة بالغة أحدث نوعا من الهزة المجتمعية، ودفع نحو العودة إلى الهوية بعدما تسلسل إلينا ثقافة ولغة لا علاقة لها بنا.

ينظر البعض من المصريين إلى فنون الأوركسترا والأوبرا على أنها دخيلة عليهم وجاءت من الغرب، ومن فنون الصقوة، لكن نادر عباسي يفتي ذلك قائلا "العرب" "كانت الأعمال التصويرية المصاحبة للأفلام المصرية القديمة من مخازن الموسيقى الكلاسيكية والسيمفونية الشهيرة، ولم تكن تراها دخيلة علينا، كما أن الموسيقار محمد عبدالوهاب وفريد الأطرش استخدموا (الغلاس) في موسيقاهما، والأوركسترا موسيقى عالمية، ومصر جزء من العالم،